سورة يونس

٣٦ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

القراءة : قراءة عامة قُرّاء الأمصار " فبذلك فليفرحوا " بالياء . ورُوى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ " فليفرحوا " بالتاء والياء . فقد روى أبو داود ، وأحمد، والبيهقي ، وغيرهم بأسانيد صحيحة بأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " فبذلك فلتفرحوا " بالتاء . فقال أبو داود : حدّثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن أسلم المنقريِّ ، عن عبد الله ، عن أبيه عبد الرحمن بن أبزى ، قال : قال أُبي بن كعب " بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا " ، قال أبو داود : بالتاء [1].وقال : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، حدَّثنا المغيرة بن سلمة ، حدَّثنا ابن المبارك ، عن الأجلح ، حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن أُبَي ؛ أن النبي ، صلى الله

---

(١) صحيح . أخرجه أبو داود في : ٢٥ – كتاب الحروف والقراءات جـ ٤ / ١٧١٠ رقم ٣٩٨٠ .
وأحمد بن حنبل في : جـ ٥ / ١٢٣ من طريف سفيان به وأحمد بن حنبل في : جـ ٥ / ١٢٢ / ١٢٣ من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه ، عن أُبي بن كعب مرفوعاً به ... " .

عليه وسلم ، قرأ : " بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير ما تجمعون " [٢] . وقد أورد هذه القراءة أيضاً ابن خالويه فقال : قرأ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالتاء ، وعن الكسائي في رواية زكريا بن وردان [٣] . وقال ابن جني : ومن ذلك قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وعثمان بن عفان ، وأُبي بن كعب والحسن ، وأبي رجاء ، ومحمد بن سيرين ، والأعرج ، وأبي جعفر بخلاف ، والسُّلمي ، وقتادة ، والجحدري ، وهلال بن يَسَاف ، والأعمش بخلاف ، وعباس بن الفضل ، وعمرو ابن فائد " فبذلك فلتفرحوا " بالتاء . وقرأ " فبذلك فافرحوا " أُبي بن كعب [٤] . وقد رجح الزمخشري القراءة بالتاء فقال : وقرئ " فلتفرحوا " بالتاء وهو الأصل والقياس ، وهي قراءة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما روى [٥] . وقال ابن الجزري : واختلفوا في " فليفرحوا " . فروى رويس بالخطاب— يعنى فلتفرحوا — وهي قراءة أُبي ، ورويناهما مسندة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهي لغة لبعض العرب ، وفي الصحيح عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : " لتأخذوا مصافكم " أخبرنا شيخا أبو

---

(٢) صحيح . أخرجه أبو داود في : ٢٥ — كتاب الحروف والقراءات جـ ٤ / ١٧١١ رقم ٣٩٨١، وأحمد ابن حنبل في : جـ ٥ / ١٢٢ / ١٢٣ من حديث عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه ، عن أبي بن كعب مرفوعاً به ... " .

والسيوطي في : الدر المنثور جـ ٣ / ٥٥٤ .

(٣) انظر : مختصر شواذ القرآن ص : ٦٢ .

(٤) انظر : المحتسب جـ ١ / ٣١٣ ، والكشاف جـ ٢ / ٣٥٣ ، وروح المعاني للألوسي جـ ٦ / ٣٧٨ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٦٤٧ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١١ / ١٦٤ رقم ١٣٧٠٩ .

(٥) انظر : الكشاف جـ ٢ / ٣٥٣ ، والدر المصون جـ ٤ / ٤٥ .

حفص عمر بن الحسين بن مزيد قراءة عليه ، أنا أبو علي بن أحمد بن عبد الواحد ، أنا عمر بن محمد البغدادي ، أنا أبو الويد إبراهيم بن محمد الكرخي ، أنا أبو بكر الخطيب ، أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي ، أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ، أنا أبو داود الحافظ ، ثنا محمد بن عبد الله ، ثنا المغيرة بن سلمة ، ثنا ابن المبارك ، عن الأجلح ، حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي ، عن أبيه ، عن أُبَي بن كعب ، رضي الله عنه ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون " . يعنى الخطاب فيهما ، حديث حسن ، أخرجه أبو داود كذلك في كتابه ، وقرأ الباقون بالغيب [٦] . واختلفوا في " مما يجمعون " فقرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، ورويس بالخطاب ، وقرأ الباقون بالغيب [٧] . وقال أبو حيان : والجمهور بالياء على أمر الغائب [٨] . وقال ابن عطية : وقرأ السبعة ، وأهل المدينة ، والأعرج ، ومجاهد ، وابن أبي إسحاق ، وقتادة ، والأعمش ، وطلحة ، بالياء فيهما على ذكر الغائب ، وقرأ أُبَي بن كعب ، وابن القعقاع ، والحسن على ما زعم هارون، ورويت عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، " فلتفرحوا " و " تجمعون " بالتاء

---

(٦) أخرجه أبو داود في : ٢٥ – كتاب الحروف والقراءات جـ ٤ / ١٧١١ رقم ٣٩٨١ .

وأحمد بن حنبل في : مسنده جـ ٥ / ١٢٢ / ١٢٣ .

وابن الجزري في : النشر في القراءات العشر جـ ٢ / ٢٨٥ .

(٧) انظر : النشر في القراءات العشر جـ ٢ / ٢٨٥ ، والسبعة لابن مجاهد ص : ٣٢٧ / ٣٢٨ ، والتيسير في القراءات السبع ص : ١٠ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٤٠٨ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٧١ ، وروح المعاني للألوسي : جـ ٧ / ٣٧٨ .والدر المصون ج٤/٤٥.

(٨) انظر: تفسير البحر المحيط جـ ٥ / ١٧٢ ، والدر المصون جـ٤/ ٤٥.

فيهما على المخاطبة ، وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة وعن أكثرهم خلاف [٩] .

قلت : لقد وردت القراءتان بالياء ، والتاء ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لكن القراءة بالتاء لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة على الرغم من صحة سندها ولكنها غير متواترة ولها وجه في العربية ، ولكنها شاذة لمخالفتها رسم المصحف الإمام ، فقد قرأ قُرّاء الأمصار بالياء وهي في المصحف الإمام بالياء . وقد رجح الزمخشري ، والألوسي ، القراءة بالتاء على الرغم من مخالفتها لرسم المصحف الإمام [١٠] . وقد رجح مكي قراءة الياء فقال : ففي " يفرحوا " ضمير المؤمنين ، وفي " يجمعون " ضمير الكفار ، وهو الاختيار ، لأن الجماعة عليه ، ولصحة معناه [١١] . وقال أبو البقاء في قوله تعالى " فليفرحوا " بالياء والتاء مع سكون اللام ، والياء أجود لأن أمر المواجه فافرحوا ، وقد قرأ به ابن مسعود . ويقرأ كذلك إلا أنه بكسر اللام على الأصل ، إذ الأصل في لام الأمر الكسر [١٢] . وقد رجح ابن جرير القراءة بالياء فقال : والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار من قراءة الحرفين بالياء " فليفرحوا هو خير مما يجمعون " لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القراء عليه ، والثاني : صحته في العربية ، وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول :

---

(٩) انظر : المحرر الوجيز جـ ٣ / ١٢٦ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ١١٦ ، والدر المصون جـ ٤ / ٤٥/٤٦ .

(١٠) انظر : تفسير الكشاف جـ ٢ / ٣٥٣ ، وروح المعاني للألوسي جـ ٧ / ٣٧٨ .

(١١) انظر : الكشف جـ ١ / ٥٢٠ .

(١٢) انظر : إعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٦٤٧ / ٦٤٨ .

افعل ولا تفعل [١٣] . وقد كره الأخفش الأوسط القراءة بالتاء وقال : وقال بعضهم "فلتفرحوا" وهي لغة للعرب رديئة ، لأن هذه اللام إنما تدخل في الموضع الذي لا يقدر فيه على افْعَلْ ، يقولون : لِيَقُلْ زَيْدٌ ، لأنك لا تقدر على " افْعَلْ " ولا تدخل اللام إذا كلمتَ الرجلَ فقلت : " قُلْ " ولم تحتج إلى اللام [١٤] .

التوجيه والتفسير : حجة من قرأ بالتاء في " فليفرحوا " و "مما يجمعون" على الخطاب ، لأن بعده خطاباً في قوله : " قُلْ أرأيتم " ، وقوله : " فجعلتم منّه " ، وقوله : " أذن لكن " فحمل صدر الكلام على آخره ، ليتفق اللفظ ، فيكون الضمير في " تجمعون " وفي " فلتفرحوا " للكفار على معنى : ولو كنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بذلك ، فهو خير مما تجمعون من دنياكم أيها الكفار . وقد روُى عن ابن عامر وغيره أنه قرأ " فلتفرحوا " بالتاء على الخطاب للكفار ، أي : لو كنتم مؤمنين لكان فرحكم بالإسلام والإيمان خيراً مما تجمعون من دنياكم [١٥]، وقد رجح الزمخشري والألوسي القراءة بالتاء فقال الألوسي : " وفي تعليقات الزمخشري على كشافه ، كأنه صلى الله عليه وسلم ، إنما آثر القراءة بالأصل ، لأنه أدل على الأمر بالفرح ، وأشد تصريحاً به إيذاناً بأنه الفرح بفضل الله تعالى ، وبرحمته ، بليغ التوصية به ليطابق التقرير والتكرير وتضمين معنى الشرط لذلك ونظيره مما انقلب فيه ما ليس بفصيح فصيحاً قوله سبحانه : " ولم يكن له كفوا أحد " من تقديم الظرف اللغو ليكون الغرض اختصاص التوحيد ، ونقل عن شرح اللب في توجيه ، أنه لما كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مبعوثاً إلى الحاضر والغائب جمع بين اللام والتاء ، قيل : كأنه

---

(١٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١١ / ١٦٤ .

(١٤) انظر : معاني القرآن للأخفش الأوسط جـ ٢ / ٣٤٥ ، والدر المصون جـ ٦ / ٢٢٥ .

(١٥) انظر : الكشف جـ ١ / ٥٢٠ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ١١٦.والدر المصون ج٤/ ٤٥ .

عنى أن الأمر لما كان بجملة المؤمنين حاضرهم وغائبهم ، غلب الحاضرون على الغائبين ، وأتى باللام رعاية لأمر الغائبين ، وهي نكتة بديعة إلا أنه أمر محتمل ، وما نقل عن صاحب الكشاف أولى بالقبول [١٦] وقد كره الأخفش الأوسط ، وأبو البقاء ، ومكي ، القراءة بالتاء ، فقال الأخفش كما ذكرت سابقاً ، وهي لغة للعرب رديئة . وقال أبو البقاء : والقراءة بالياء أجود ، وقال مكي : والاختيار الياء . وقال مكي : ولم أقرأ " فليفرحوا " إلا بالياء للجميع ، ويجوز أن يكون الضمير في قوله " فليفرحوا " للمؤمنين ، وقرأ الباقون بالياء في " يجمعون " أجروه على الإخبار عن الكفار ، لا عن المؤمنين ، لأن المؤمنين هم الذين أعطوا فضل الله ، وهو الإسلام ، وأعطوا رحبّته ، وهو القرآن لم يعطَ ذلك الكفار ، فقيل : إنما أعطي المؤمنون من الإسلام والقرآن خير مِمّا يجمع هؤلاء الكفار من دنياهم ، ففي " يفرحوا " ضمير المؤمنين ، وفي " ويجمعون" ضمير الكفار ، وهو الاختيار لأن الجماعة عليه ، ولصحة معناه [١٧]، وقال أبو علي الفارسي : ومن قرأ بالياء كان المعنى : فافْرَحُوا أيُّها المؤمنون ، أي : افرحوا بفضل الله ورحمته ، فإن ما آتاكُمُوُهُ من الموعظة ، وشفاء ما في الصدور ، وثلج اليقين بالإيمان ويكون النفس إليه ، خَيْرٌ مما يجمعه غيركم من أعراض الدنيا ، ممن فقد هذه الخلال التي حزتموها[١٨].

---

(١٦)انظر : تفسير الكشاف جـ ٢ / ٣٥٣ ، وروح المعاني للألوسي جـ ٧ / ٣٧٨ .

(١٧) انظر : الكشف جـ ١ / ٥٢٠ .

(١٨) انظر : الحجة في علل القراءات السبع جـ ٤ / ٢٨٣ .